

## واشنطن تسعى لتقسيم سورية

■ حميدي الجباله

العرض الذي جهّمته الولايات المتحدة إلى الجانب الروسي حول كيفية تنسيق الجهود لتثبيت «وقف العمليات» ينطوي على نية واضحة، يجري الكشف عنها للمرة الأولى، تسعى إلى تثبيت تقسيم سورية، على غرار ما حصل عند تقسيم ألمانيا، وكوريا بعد الحرب العالمية الثانية. الاقتراح الأميركي يقسّم سورية إلى منطقتين، الأولى خاضعة للرقابة الحصرية الأميركية، والثانية خاضعة للرقابة الروسية.
بديهي أنّ الموافقة على هذه الصيغة من قبل روسيا تعني ذلك تقسيم سورية إلى مناطق نفوذ بين الدولتين، ويترتب على تكريس تقسيم سورية، وعدم احترام القرارات الصادرة عن مجلس الأمن والتقاھمات الدولية الأخرى، بما فيها تفاھمات «جنيف 1»، التي نصّت صراحةً على وحدد الأراضي السورية واحترام سيادة سورية، وقد حدّر من ذلك مسؤول لجنة الأمن في مجلس الدوما الروسي الذي قال صراحةً أن تجارب سابقة قائمة على مبدأ تقسيم مناطق النفوذ التي حصلت بعد الحرب العالمية الثانية، وأشار إلى تقسيم ألمانيا، لم تكن تجارب ناجحة، الأمر الذي يؤكد أن هدف الأميركيين من هذا الاقتراح هو تقسيم سورية.

لم يأت الاقتراح الأميركي بمثابة صاعقة في سماء صافية، بل هو نتيجة لحسابات لدى صانعي القرار في الولايات المتحدة، وتمّة تطوّران رئيسيان دفعا واشنطن للتقدّم بهذا الاقتراح المريب والشبوهي في هذا التوقيت وبالأذ.

التطور الأول، عجز الولايات المتحدة عن حشد القوة البرية الكافية للاستيلاء على المناطق الخاضعة لسيطرة «داعش»، ولا سيما في محافظة الرقة، وخوفها من أن تكون قوات الجيش السوري وحلفائه الأسرع في تحرير هذه المناطق وفرض أمر واقع جديد. وترجّحت احتمالات هذا المسار بعد تحرير مدينة تدمر والقريتين، ولهذا سعت واشنطن وحلفاؤها إلى خرق الهدنة وتصعيد المواجهة على جبهات حلب وريف والأذقية وسهل الغاب لمنع الجيش من مواصله زحفه باتجاه الرقة ودير الزور سعيا منها لكسب المزيد من الوقت لتمريز اقتراحات من نمط هذا الاقتراح الذي قدّم إلى المسؤولين الروس. التطور الثاني، المكاسب الميدانية التي حققها الجيش السوري، وحلفاؤه على كافة جبهات القتال، وخشية الولايات المتحدة، ولا سيما بعد خرق اتفاق وقف العمليات، أن يستأنف الجيش تقدّمه، لا سيما في الجبهات التي تنتشر فيها جماعات صنّفت أنها إرهابية، ويعصب على الولايات المتحدة الدفاع عنها بوصفها تشكيلات، إذا معتدلة. وبالتالي فوضع الاقتراح الأميركي للتثبيت، إذا وافقت عليه موسكو، سيقدّم إلى وقف تحرير المزيد من المناطق الخاضعة لسيطرة الجماعات الإرهابية المسلحة، وبالتالي تكريس تقسيم سورية واقعيا، على الأقل على غرار تقسيم قبرص الآن.

## خطاب تركي وسعودي يائس

- تتصرّف السعودية وتركيا وتوايبعهما من جماعة المعارضة وكانّ الكذب يكفي أن يصدر عنهم ليصير قابلا للتصديق، وأنّ الكلام عن انتهاك الهدنة من جانب روسيا والدولة السورية أو محسوم لمجرد صدوره عنهم كوصف لما يجري خصوصاّ شمال سورية.

- لا يستطيع تركيا والسعودية والالتواق السوري لهما الادعاء أنّ جماعات المعارضة المسلحة كما يوصفونها والمتعاونة في جينيف هي صاحبة القرار الميداني شمال سورية، حتى لو سلّمنا بنفي صفة الإرهاب عن «جيش الإسلام» و«أحرار الشام».

- القرار العسكري في المنطقة الممتدّة بين تخوم انتشار الجيش السوري في ريف الأذقية وريف حماة وأرياف حلب الجنوبية والشرقية يعود لندجبهة «النصرة» بما في ذلك أحياء حلب غير الخاضعة للدولة.

- الجمعات المسلحة من غير «النصرة» هي ديكور عسكري باستثناء «أحرار الشام» المنتج المشترك لاتّراك وروبرت فورد السفير الأميركي السابق في سورية من ضمن تشكيلات «القاعدة».

- الباقى دفاع مدني وتصوير وإعلام وخطاب جماعات مزمية في مكاتبها لإطلاق القذائف واللقاحات تحمل شعارها وللنصاب.

- الحرب شمال حلب مع «النصرة» ولا يخرق الهدنة بل يطبقها، وتبنيص «النصرة» مستحيل...

التخليق السياسي

## نتنياهو والجولان وتعاظم قدرات المقاومة والجيش السوري

■ كنان خليل اليوسف

إنّ يجتمع بنيامين نتنياهو بحكومته في الجولان السوري المحتلّ. رسالة أولا إلى الداخل الإسرائيلي، فالمعروف أنّ شعبية نتنياهو متراجعة، وهو لا يزال في رئاسة الحكومة ليس بسبب شعبيته وإنما بسبب ضعف المعارضين له، وهو يستغلّ هذا التصرّف لشدّ الأنظار إليه ولرفع منسوب شعبيته، فإنايلا أنّ تكون شريكا في رسم اللوحة الجديدة في الشرق الأوسط.

حقائق المستغرب في تصريحات نتنياهو بضمّ الجولان وتاريخ «إسرائيل» على الملغف بفنّقول في القرارت الدولية، ثم أنّ الاستفتاء الإسرائيلي من الجولان ومحاولات الحصول على اعتراف دولي بشرعية الاحتلال ما هي إلاّ شكل من أشكال الاستعراض بعد تراجع الدور «الإسرائيلي» في المنطقة، والبحث عن دور لها في أيّ تسوية مقبلة، وهذا ما بدأ واضحاً من خلال التعويل على المفاوضات السورية التي تجري في جنيف، وما تمّ الحديث عنه عقب زيارة نتنياهو إلى روسيا، والترجيع لصيغة ما يهدأ بخصوص بين موسكو وتل أبيب الأمر الذي تجلّى واضحا في كلام مسؤول الساحة السورية في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية «إسرائيل سنطلب في أيّ تسوية مستقبلية تقليص مسارات تمرير الوسائل القتالية من إيران إلى حزب الله».

ولكن ما هو الرادع لهدأ الاستفتاء؟ «الإسرائيلي»؟ إنّ ما يوقف العدوان إمارادع العسكري أو الرادع القانوني، ويبدو أنّ الرادع القانوني تتحداه «إسرائيل» على مدار عقود، فلم يبقّ إلّخ أمام محور المقاومة إلاّ الرادع العسكري، وهو موجود بطبيعة الحال ضدّ هذا الكيان، وإذا ما وقعت الواقعة سيبتقى الموعد الإسرائيلي الدرس الذي لا ينساه، والمفارقة هنا أنّ كيان العدو يعرف جيدا حقيقة هذا الدرس، كيف لا يعرفه والرهانات «الإسرائيلية» هي غرق المقاومة اللبنانية في المستنقع السوري وإسقاط الجيش السوري كلها فنتيلت وباعتراف مسؤول الساحة السورية في الاستخبارات العسكرية «الإسرائيلية» أيضاً الذي قال صراحة «إنّ التطلع الإسرائيلي إلى إلغاء أيّ تدخل إيراني في سورية يبدو غير واقعي، وإنّ الجيش السوري تعزّن في الآونة الأخيرة»، وهو انقالب وحشي في مواقف «إسرائيل» التي لم تكن تتحدث بدهذ للهجة قبل عامين على الأقل، ففي وقت تنادي فيه «إسرائيل» بضمّ الجولان السوري لتعاود للقول بأنّ التسوية السورية ستكون «إسرائيل» جزءاً منها، ما يعكس حالة من التخطّط الإعلامي والسياسي «الإسرائيلي» وعدم وجود استراتيجية واضحة ومحددة لدى هذا الكيان.

ولكن ما يثير الدهشة أنّه وفي ظلّ الاعتراف «الإسرائيلي» بالضعف وفشل المشاريع وهو تساقب الأنظمة الخليجية لفتح علاقات عليّنة مع «إسرائيل» كما فعلت السعودية اليوم دون خجل وتتحرّك بكلّ ما أوتيت لرجّ المقاومة في خاتة الإرهاب، وهذا ما تدجج به «إسرائيل» لآته يخدمها في هذا التوقيت لكسب أنظفة باتت ترى في إيران العدو لدراسرل، عدوا لها أيضاً، ولكن ليستبشر العرب خيراً طالما جامعتهم لا زالت قادرة على الإرتابة وأخر هذه الإرتانات هي تصريحات نتنياهو المطالبة بضمّ الجولان السوري المحتلّ إلى «إسرائيل»، فمّن يصدق أنّ هذه الجماعة التي تدّين هي ذاتها التي صفقت للقرار السعودي بتجزيم حزب الله بصفة الإرهاب؟

ف«إسرائيل» التي تحاول ضمّ الجولان عبر استعراض إعلامي من حكومة نتنياهو باتت تعرف جيدا مدى قدرات محور المقاومة، وهذا ما تشهدا في أيّ مواجهة مقبلة لأنها تعرف بأنّ هذه الواجهة لن تكون محدودة ومدّاه ما عبر عنه نائب وزير الخارجية السورية فيصل المقداد في أول ردّ فعل سوري رسمي على تصريحات نتنياهو بضمّ الجولان.

حينها قال المقداد «إنّ المعركة لتحرير الأراضي العربية المحتلة في لبنان وفلسطين وسورية هي معركة مترابطة، ما يعني بأنّ أيّ حرب مقبلة مع «إسرائيل» ستكون شاملة، وفي حرب لن تحرّم نتنياهو من الجولان فحسب بل ربما ستحرمه حتى من منزله الذي يسكن فيه».

# البناء

# منطق الصراعات في المشهد السياسي العربي الراهن \*1

## د. زياد حافظ\*\*

والإقليمية والعربية، اتاحت الفرصة للابعين إقليميين وعرب من توسيع رقعة تحركهم ورفع سقف ذلك التحرك وفقاً لتقديراتهم في تراجع فعالية القوى الدولية الأساسية والتي كانت تتحكّم بمسار الأمور وإيقاعها من هنا يمكن فهم بعض مسارات الصراعات القائمة في المنطقة العربية التي يعتبرها البعض بشكل ألي نتيجة لتصور أميركي صهيوني ينفّذه لا يعون عرب. وإذا كنا لا ننكر دور الولايات المتحدة والكيان الصهيوني في تأجيج صراعات قديمة وخلق صراعات جديدة إلاّ أنّ الفكرة الأساسية التي نظرها في هذه الورقة والتي نعرضها للنقاش، وهي غير منزلة أو منحوتة في الصخر،هي أنّ القسطن الأكبر من الصراعات العربية العربية هو من صنع عربي، وأنّ مستقبل هذه الصراعات يتوقف على اللاعبيين العرب في المرحلة الأتلى التي ستكون بعيداً عمالاً جديداً دخل على المشهد هو ما يمكن تسميته بالتقسين الروسي الأميركي. فهناك سلسلة من أحداث ومواقف وقرارات ترجمت ميدانياً في عدد من ساحات الصراعات القائمة كسورية واليمن وليبيا والعراق تدل على أنّ التنسيق الروسي الأميركي هدف في الحدّ الأدنى ضبط إيقاع حركة الأحداث وفي الحدّ الأقصى تقامه أشمل. لكننا لسنا متأكدين حول مدى صمود هذا التنسيق وعلى مدى فعاليته على المدى المتوسط والطويل على سلوك اللاعبيين العرب في المشهد السياسي.

لذلك فإنّ هذه الورقة ستتناول حركة الصراعات القائمة التي منها دولية

والعنف لحلّ المشكلات في زمن التراجع. ونكتر أنّ هذا لا

يعني أنّ الولايات المتحدة أصبحت دولة مختلفة أو فقيرة أو ضعيفة في القدرات العسكرية والاقصادية أو كل أو بعضها لا يمكنها أن تصرفه كما تريد سياسيا واقتصاديا وسورية حيث لا مصالح حيوية لها بينما خسرة حلفائها أكبر بكثير وتفوق قدرتهم على التحمل. مرّة أخرى نتحقّق منقولاً أن مخالفة الولايات المتحدة أمر مكلف لكن مهادنتها أو التحالف معها أمر قاتل!

اعتبرت الولايات المتحدة انها تستطيع تحديد وتيرة الأحداث في سورية عبر التحريض المباشر من قبل وزيرة الخارجية آنذاك هيلاري كلنتون، المرشحة الرمقية للرئاسة الأميركية عن الحزب الديمقراطي. فهي التي حرّضت على استمرار حمل السلاح وعدم القبول بالعمق الصادر عن الدولة. كما أنها تدعت وما زالت في خطابها السياسي إلى مقاربة سورية من زاوية التجمّعات الطائفية والمذهبية والعرقية مع إغفال متعمّد للهوية الوطنية والهوية القومية العربية لسورية. فليس هناك سوريين بل طوائف ومذاهب وأعراق، كما حصل تماما في العراق. التحريض الأميركي واللامبالاة للحلّوات السياسية على الصعيد الدولي والإقليمي وصل إلى ذروته في صيف 2013م فإقتعال أزمة السلاح الكيماوي. ننذرك جميعا

الكلام الكبير للرئيس الأميركي عن «الخط الأحمر» الذي خطته الدولة السورية على حسب زعمه في استعمال السلاح الكيماوي مما يستدعي التدخل العسكري الأميركي المباشر. غير أنّ الرسائل الإقليمية (إيران) والدولية (روسيا) وحتى داخل المؤسسة العسكرية الأميركية كانت واضحة للغاية أيّ أن التدخل العسكري الأميركي في سورية سيؤدي إلى انفجار واسع في الشرق يطال بشكل مباشر إقليم فقط النّجح الأميركي بل حلفاءه كالكيان الصهيوني وتركيا وحتى دول مجلس التعاون الخليجي.

فكانت الهندسة الروسية في إيجاد المخرج اللائق للولايات المتحدة عبر قرار تسليم المخزّون الكيماوي لدى الدولة السورية.

الحلطة التالية في السياسة السورية من زاوية الولايات المتحدة كانت استمرار المواجهة مع الدولة السورية ولكن عبر منطلقات الشدّد والغلط والتعصب. فالتعاظم من نمو ما يسمى به«الدولة الإسلامية في العراق والشام» داعش»، لم يكن ليحصل لوّلا التسهيلات التركية (بموافقة أميركية صريحة) والدعم اللوجستي لها في العراق من قبل بلاد الحرمين، وفي ما بعد نمذها في شمال سورية. الحرب عبر «داعش» ونجبهة الخليفة كانت البديل عن الارتكاز على «معارضة معتدلة» أظهرت فشلها بعد لجوء العناصر التي درّبها الاستخبارات الأميركية إلى صفوف إمّا «داعش» أو «النصرة». عندما خرج التنظيمان من السيطرة وخاصةً «داعش» كان لا بدّ من الولايات المتحدة الظهور بالموافق المناهض ل«داعش»، فكان «التحالف الدولي» المصوب ب«داعش» والذي اسفادت منه «داعش» ومن بعده على سورية. وبعد حوالي سنة من المسرحية لإيقاف «داعش» كان التدخل الروسي بناء على طلب رسمي من الدولة السورية، والذي غير من موازين القوة الجيها في الأرض ولمساح الدولة السورية والجيش العربي السوري. فهذه المتغيّرات أجبرت الولايات المتحدة على ضرورة التفاهم الجذّي مع روسيا.

### إنجازات الميدان

### تحدّد مسار التفاوض

الإنجازات العسكرية الميدانية للجيش العربي السوري تؤمّل روسيا لفرض تنازلات على الولايات المتحدة خلال المفاوضات. فمّن جهة استطاعت روسيا فرض تصنيف العديد من المنظمات القتالية على الأرض السورية كتتنظيمات إرهابية غير مؤهّلة للدخول في مسار التفاوض والحل السياسي، كما فرضت على عدم اختزال المعارضة السورية للحكومة في مجموعة التي تعارها حكومة الرياض، كما أنها تسعى حتى هذه الساعة إلى إدخال أطراف جديدة إلى طاولة الحوار ككرد سورية، والإنجاز الأكبر هو التسليم بوحدة الأراضي السورية وعدم تقسيمها

رغم الإلتباس في دعوات إلى «فدرالية» تصدر من وقت إلى حين عن بعض المسؤولين في روسيا سرعان ما يتّمّ

التراجع عنها، ولكنها نوع من وسائل الضغط على بعض الأطراف في الدولة السورية لإيذاء بعض «المرونة» في ملف المفاوضات. أما بالنسبة لمصير الرئيس السوري بشّار الأسد فاستطاعت روسيا إيقاف الولايات المتحدة ومعها الاتحاد الأوروبي بأنّ المسألة تركّ للشعب السوري وأنّ لا شروط مسبقة لتسكيه وعدم ترشحه.

2 - الولايات المتحدة.
اعتبرت الولايات المتحدة منذ اندلاع الحراك الشعبي العربي في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن والبحرين في روسيا إما لا تستطيع التدخل في مسار الأمور أو ليست لديها أيّ رغبة في ذلك بسبب فقدان نفوذها في المنطقة منذ فترة تفكّك الاتحاد السوفياتي. هذا دليل قاطع على سوء تقدير واقع تدفع فتمه الولايات المتحدة كما يتدل على هذه الفجوات على التقدير والتخطيط، سواء بسبب الغطرسة أو بسبب رداة النخب الحاكمة. وبالتالي اعتبرت الولايات المتحدة أنّ الساحة السورية خالية من أيّ منافسة دولية لها وتستطيع أن تتحكّم بمسار الأمور.
إنّ أن أتت الخدمة الجيدة بقيادة الولايات المتحدة في تحويل قرار مجلس الأمن رقم الأتمة في ليبيا. واعتقدت الولايات المتحدة أنّ بإمكانها تجاوز روسيا في الملف الليبي وحتى في سائر الملفات وخاصة في الملف السوري إلى أنّ أقدمت روسيا ومعها الصين على استعمال حقهما في النقض في مجلس الأمن في أواخر 2011، وذلك بعد أنّ ثبت صمود سورية دولة وقيادة ومؤسّسات وخاصة المؤسسة العسكرية.

فكان تعطيل دور مجلس الأمن كأداة السياسة الخارجية

الإمريكية.

هذا لا بدّ من توضيح بعض الأمور على موقف الولايات المتحدة في الملف السوري. لا نقاش حول رأي ورغبات الإدارة الأميركية تجاه طبيعة الدولة السورية وقيادتها. لكن سورية لا تشكل بالنسبة للولايات المتحدة أولوية جيوسياسية بل مدخلا لإبتزاز الجمهورية الإسلامية في إيران في مرحلة المفاوضات معها على الملف النووي. كما أنها تعارض وجود إيراني على شواطئ البحر المتوسط بعد وجود غير المباشر للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان عبر محور المقاومة وحلفائها. لذلك تجنبت الولايات المتحدة الانخراط المباشر عسكري في المنطقة السورية وإنّ كانت والمسؤولة الأولى عن عسكريه الحراك الشعبي وتقاوم استمرار القتال والدمار. فأحرب بالوكالة وعبر التحريض الفلوي من أفك وانرض الأسلحة في الرئاسة الأميركية فكان ما كان. في المقابل نعدّم فهم تمسك الإدارة الأميركية بولائها وحتى ببعض التنظيمات التي أوشتن أنّ تهذد مصالحها في العراق وفي دول الجوار. لذلك كان الدخول في مفاوضات التسوية مع

السنة السابعة / الخميس / 28 نيسان 2016 / العدد 2066 Seventh year / Thursday / 28 April 2016 / Issue No. 2066

### 1

في الساحات العربية ومنها عربية إقليمية ومنها إقليمية وإقليمية ومنها عربية. لكن المفتاح الرئيسي لمعظم هذه الصراعات كي لا نقول جميعها هو القضية الفلسطينية التي كانت وما زالت وستستمر إلى يوم الحسم أو النصر النهائي في استرجاع فلسطين، ونعني هنا كامل فلسطين، وحقوق الشعب الفلسطيني في العودة والاستقرار والتعويض المادي والمعنوي لما تحلّه هذا الشعب من وزر الاحتلال والتشرّد. فلا الحرب على العراق على سورية، ولا العدوان العربي غير المبرّر على اليمن، ولا حتى استمرار الأزمة في لبنان، ولا حتى نشأة وتشجيع حركات الغلو والتوحّش، ولا استمرار الحصار على غزة والتنسيق الأمني بين السلطة والكيان تبرّرها الأسباب التي تروّجها وسائل الإعلام الغربية والعربية المملوكة من دول النفط إلاّ والقضية الفلسطينية هي الخاضرة والسبب الحقيقي المباشر وغير المباشر لمختلف ألوان العدوان. لا ننفي وجود أسباب أخرى خاصة بكلّ قطر لكل السبب الرئيسي هي رأينا هو الصراع العربي الصهيوني في العمل على إجهاض أيّ حراك نقضي وحوي. هكذا كان التخلّط الدولي والإقليمي في السابق، وهكذا هو تدخله اليوم. كما أنّ محاولات استبدال العداء للجمهورية الإسلامية في إيران بالعداء للكيان الصهيوني هو الوجه الحقيقي لمسار الصراعات في المنطقة العربية.

قيادة وحكومة وشعباً. ما هو مسكوت عنه هو توجّهات الحكومة الجديدة والتعديلات المقترحة للدستور التي ستحدّد طبيعة الدولة (دولة اتحادية أو مركزية إدارية نسبية؟) وهويتها (عربية؟) ودورها في شتى الميادين وخاصة في الصراع العربي الصهيوني.

وهنا تتقّف إلى الواجبة عدة أسئلة: كيف نستعامل كلّ من روسيا والولايات المتحدة مع الانتخبات التي حصلت في نهاية الأسبوع الثاني من شهر نيسان 2016؟ ليس هذا مؤشرا على مدى حرص الدول السورية وقيادتها على تثبيت استقلاليتها وسيادتها؟ ليس إصرار الموفد الأممي دي ميستورا على تأجيل الانتخابات بحجة أنّ هناك مناطق سورية خارج سيطرة الدولة (و/أو النفوذ الدولي؟) تجعل إجراؤها غير صحيحة تماماً لرأي المواطنين السوريين فيها، واستطراداً رأي السوريين في الشقا؟ ليس الحرص على ذلك دليلًا أنّ تلك الوبيين تقتضى أنّ السوريين المومجدين في مناطق خارج سيطرة الدولة يعارضون الدولة ونظام الحكم القائم، ضاربة عرض الحائط كل المؤشرات (ككثافة المشاركة الشعبية) التي تقول عكس ذلك؟

ثالثاً- استطاعت الدبلوماسية الروسية انتزاع تنازل كبير من قبل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي حول ضرورة استمرار الرئيس الأسد في موقعه، وأنّ صميره يحدده الشعب السوري بعد أن كانت نتيجته شرطا أساسيا لأيّ حل سياسي. لكن حلفاء واشنطن في المنطقة ما زالوا متردّين في حكومة اقتره) أو مكاربين (الرياض) حيال هذا الأمر، وهذا ما يعيשה في اللحظة الراعبة عند كتابة هذه السطور.

رابعاً- استطاعت الدبلوماسية الروسية وضع «جبهة النصرة» على قائمة الإرهاب واستبعادها من المشاركة، أيّ حل سياسي، وكذلك أبوة طبيعية الحال ل«داعش»، أما المجموعات المسلحة التابعة لحكومات إقليمية (نقرة والرياض) فما زال الجدل قائماً حول إدخالها في إطار وفد المعارضة. أوكلت هذه المهمة على ما يبدوا في الدبلوماسية الروسية. على هذا السياق يمكن قراءة التطورات الأخيرة كأعادة توضع القوات الروسية أو سحب الجزء الأكبر من قواتها من سورية على هذه القاعدة. وهناك قرار معتدلة تلك الخطوة الروسية. القراءاة الأولى تعتبرها خطوة تكتيكية تركب الخصوم وخاصةً الولايات المتحدة وتتفقد ورقة التقاديب لرسيا، كما يمكن قراءة الخطوة على شكلها هي الحكومة السورية لإيذاء «مرونة» أكثر في التسوية. لسنا متأكدين أنّ التصلب السوري هو في موضوع المعارضة ولا حتى في الصلاحيات الدستورية بل في التوجّهات السياسية الإقليمية والدولية للحكومة المرتقية كخطوة أولى للحلّ. فما يلي يعبر عن بعض هواجسنا تجاه ما يمكن أن ينتج عن «التسوية».

إذاذا اعتبرنا أنّ هذه الحلول من خلال «التسوية» وأنّ كانت ضرورية لإيقاف النزيف والدمار في سورية، إلاّ أنها ما زالت غامضة تجاه ما نتعتقد حول الأضرار الجعيدة و/أو غير المعلنة لهذه «التسوية». فننذ بداية الأتمة وما رافقها من أحداث دامية ودمار شامل اعتبرنا أنّ الحراك الجيها في سورية هو حراك منقلب مشروعه، غير أنّ السحب خارجة إقليمية ودولية متعلّط بشكل مباشر وغير مباشر في الميدان السوري ولها أجنداث مشبوهة حرّضت على تفاقم واستمرار القتال. الحرب العالمية التي شنت على الدولة السورية شعياً وأرضاً وحكومة وقيادة لم تكن لإنجاز الإصلاحات المطلوبة بل لتغيير دور سورية.

في الصعب القول إنّ بعض الدول العربية المنخرطة في الحرب على سورية حريصة على حقوق الشعب السوري أو إرساء الديمقراطية فيها، وهذه الدول لا دستور لها ولا برلمان ولا حقوق سياسية أو غيرها بما يعاها. فالهدف من الحرب على سورية كان في رأينا وما زال إدخال سورية في «التسوية الكبرى» للقضية الفلسطينية. لذلك تراودنا شكوك عميقة حول يقين «التسوية» المتداوله من ناحية دور سورية في الصراع اللّك بين العرب والصهاينة، هذا ملف يستحقّ النقاش وإلى على ضوء معلومات مؤكدة وليست فقط على قاعدة التقديرات.

تشير في هذا السياق إلى أنّ روسيا غير معنية بموقف محور المقاومة تجاه الصراع مع الكيان الصهيوني. فدبلوماسيتها تركّز على ضرورة اللجوء إلى الشرعية الدولية. أيّ إلى قرارات مجلس الأمن، التي تقول بلحق بقاء الكيان الصهيوني وبضروته تنازل الشعب الفلسطيني على صفح في الجزء الأكبر من فلسطين. كما أنّ لروسيا مصالحة هامة في الكيان كحالية روسية قوامها مليون أو أكثر من مليون نسمة، إضافة إلى أن مصالحها مليون في حقول الغاز الممتدّة من شواطئ غزة إلى الحدود اللبنانية. أما الولايات المتحدة فموفقا من حماية الكيان الصهيوني من الولايات في السياسة الخارجية الأميركية وإنّ كانت وفي رأينا بعض المؤشرات تتنبّئ بتخلّوات في هذا الموقف وإنّ لم تتطور وتصبح موقفا رسميا (راجع تشرين الأول 2015).

هذا على ما يبدو توافق روسي أميركي حول حلّ للقضية الفلسطينية. فمواقع عدة في الولايات المتحدة

تعتبر أنّ الرئيس الأميركي يفكر جدياً في إعادة الإعتبار إلى حلّ الدولتين وإيقاف الاستيطان واعتبار القدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية. حتى هذه الساعة لم تصدر أيّ مبادرة قد توافق عليها روسيا. كما أنّ هناك شكوكا حول قدرة الرئيس الأميركي على تسويق تسوية كهذه تدخله في التاريخ كصاحب الإنجازات السياسية الخارجية الكبرى، كالاتفاق مع الجمهورية الإسلامية والتطبيع مع كوبا والاتفاق حول المناخ وربما أخرى تسوية النزاع العرمن في الشرق العربي. ففي جؤ المتزايدت الداخلية في الحزب الجمهوري وقطاعات واسعة داخل الحزب الديمقراطي تجاه التأييد الملطق للكيان وسلطة اللوبي الصهيوني في الإعلام الأميركي هذا (الحكومة) من يحمق الرئيس الأميركي أيّ نجاح في هذا الموضوع وإنّ كانت هناك قاعدة شعبية أميركية منتمية حتى داخل الجالية اليهودية الإسرائيلية تتسعى إلى حل اللولتين.

ورقة قدّمت في المؤتمر القومي العربي في حمات تونس 19 – 20 نيسان 2016

\*\* أمين عام المؤتمر القومي العربي